

# تمهيد

في الجزء الأول من هذا المجلد تناولنا أهم موضوعات الاقتصاد الإسلامي ، ولا شك في أهمية تلك الموضوعات لمسار البحث في هذا المؤلف ، فموضوعات الاقتصاد الإسلامي غاية في الأهمية بالنسبة إلى دراسة نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي ، حيث أن هذا النموذج مستل أو مستنبط من تلك الموضوعات ، فهو يرتبط بها ارتباط الجزء بالكل ، فالإنماء مفردة مهمة وجزئية حيوية في كيان الاقتصاد الإسلامي ، إذا لم تكن أهم جزئية في ذلك الكيان على الإطلاق ، يرتبط بما تقدم أن تجريد النموذج الإسلامي في الإنماء الاقتصادي من إطاره العام الذي هو الاقتصاد الإسلامي ، وتناوله منفرداً ، يفرغه من الكثير من محتواه ، ويقطع أواصره ببيئته التي أفرزته ، كذلك فتناول الاقتصاد الإسلامي قبل تقديم نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي ، يحفظ التواصل الفكري والارتباط المذهبي بين النموذج وإطاره المرجعي .

ويعتقد الكثيرون أن عمليات الإنماء والتطوير والإحداث التي تعترى المجتمعات البشرية ، حيثما وجدت وأينما كانت ، هي عمليات حديثة ولا ترتبط إلا بفترات زمنية متأخرة ، والواقع أن هذا الاعتقاد هو وهم محض ، فالإنماء والتطوير هو سمة أساسية من سمات المجتمعات البشرية وخصبة من خصياتها ، مصاحبة لها منذ نشأتها الأولى ، وإلا لما وصل المجتمع البشري في عمومه وإجماله إلى ما هو عليه الآن ، ولقد كثر الحديث خلال النصف الثاني من القرن العشرين عن عمليات الإنماء والتطوير بفعل أكثر من عامل :

أولها : التدمير والخراب الشامل الذي لحق بدول أوروبا بسبب الحرب العالمية الثانية ، ورغبة هذه الدول في إعادة التعمير ، جعلها تتلمس كافة السبل والوسائل التي تمكنها من ذلك ، ومن ثم تقاطرت الدراسات والأبحاث التي ترسم خطط التنفيذ .

ثانيها : أعقب ذلك نهضة أوربية شاملة وفق المناهج التي صاغت تلك الدراسات ، ثم وضع التباين الشديد بين دول أوروبا التي طبقت تلك المناهج وبين بقية دول العالم التي لم يقدر لها اللحاق بالدول الأوربية لأسباب عديدة ، وعندئذ تعالت النداءات التي تدعو إلى ضرورة إنماء وتطوير المجتمعات المختلفة واللاحاق بالدول الأوربية أو على الأقل تقريب الهوة فيما بينهما ، ومنذ ذلك التاريخ صارت " التنمية " مادة خصبة للكتابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية ، ومقرراً دراسياً منهجياً ، وهدفاً حيويماً استراتيجياً للدول والحكومات ، تصاغ من أجله الخطط وتُرصد له الأموال والميزانيات ، وتعددت المناهج والمدارس التي ترسم خطط الإنماء ، وتضع صفات التطوير لتلك المجتمعات التي ترزح تحت وطأة الجهل والتخلف .

وفي حقيقة الأمر وفي غمرة الحماس الطائش والتوق الأخاذ لهدف اللحاق بالمدينة الغربية الجوفاء والمبهرة ، اختلط الحابل بالنابل ، ولم يعد أحد يعرف على وجه التحديد والدقة ، ماذا يعني التخلف الذي أعلنت عليه هذه الحرب الشعواء ، هل هو الفقر وانخفاض مستويات الدخل والصحة والتعليم ؟ أم هو الانحطاط القيمي والتردي الأخلاقي ، أم هو الطغيان والاستبداد والفساد السياسي والإداري ، وإزاء هذه الوعكة الفكرية والاعتلال العقيدي بات الجميع في حيص بيص أمام دعاوى وآراء لا معيارية ، تصدر عن أناس لهم قيمهم الخاصة وعالمهم الخاص ، فكيف تُستنبت تلك القيم والآراء الغربية في بيئات غير ملائمة !! .

وعندئذ كان لابد أمام أبناء الأمة الإسلامية من التوقف ملياً ، والبحث فيما تملك أمتهم من رصيد ثري ، ومكونون قيم ، فيهما الغنى عن كل وارد دخيل ، وفيهما الكفاية عن كل متسلل خبيث ، وهنا آثار المجتهدين من أبناء هذه الأمة تساؤلاً محورياً وخطيراً : هل يملك الإسلام فكراً إنمائياً ؟ وهل يطرح بالتالي نموذجاً قابلاً للتطبيق في هذا الشأن ؟ ومنذ

أن طُرح ذلك التساؤل والهمم العالية لم تفتقر ، والعزائم الماضية لم تثبط ، والجهود الجبارة لم تهدأ من أجل التنقيب عن ذلك الفكر ، واستنباط ذلك النموذج من الإسلام العظيم .

ولنعلم بلغة الواثق أننا نملك نموذجاً للإنماء الاقتصادي مستنبطاً من الشريعة الإسلامية ، يحمل خصائص مميزة تنبع من خصوصية المصدر الذي يجمع بين الكمال والمثالية ، كما أن ذلك النموذج المتفرد يحدد لوجوده وحركته أهدافاً هي غاية في الاكتمال والتناسق والشمول لكل نواحي الحياة من حضارية وثقافية ومادية وروحية ، ولقد اعتمد النموذج الإسلامي في الإنماء الاقتصادي جملة من الوسائل والأدوات لتحقيق الأهداف المرصودة ، ونوع أدواته بين الأدوات الحضارية الثقافية والأدوات الاقتصادية المادية والأدوات العقائدية الروحية ، كما استند ذلك النموذج على أكثر من وسيلة مالية لتمويل أدواته وعملياته الإنمائية : الوسيلة الأولى وهي المهمة وقد جعل لها الأولوية وهي وسيلة التمويل الذاتي ، والوسيلة الثانية وهي الأقل أهمية وهي وسيلة التمويل الخارجي ، وفي الأخير برزت عبقرية ذلك النموذج عندما فرغ إلى توزيع مقدرات وثمار عمليات الإنماء ، حيث اعتمد على أسلوبين يسود بينهما التناسق والتكامل ، وذلك يوضح أن عمليات توزيع الغنى لا تقل أهمية عن عمليات الحصول عليه .

ولقد خصصنا هذا الجزء لدراسة وتحليل نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي ، وذلك من خلال الأبواب الخمسة التالية :

الباب الأول : خصائص نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي.

الباب الثاني : أهداف نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي .

الباب الثالث : أدوات [ عمليات ] نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي .

الباب الرابع : تمويل أدوات [ عمليات ] نموذج الإسلام في الإنماء الاقتصادي .

الباب الخامس : توزيع مقدرات وثمار الإنماء الاقتصادي .

شكل بياني رقم ( ١ ) يوضح نموذج الإنماء الاقتصادي



